

# عن أوراق

تعد أوراق البردي العربية من أهم المصادر التي تعين على دراسة تاريخ الأمة العربية في حقبة معينة من الزمن ، وحينما تحدد تلك الحقبة وتتلر المصادر المعينة على دراستها تصبح أوراق البردي العربية أهم المصادر : ذلك أن العرب منذ دخلوا مصر فاتحين في السنة الثامنة عشرة للهجرة (١) وإلى ما بعد ذلك بحوالى ثلاثة قرون من الزمان ، لم يتصد لتأريخ هذه المدة مؤرخ ثبت ، حتى قام ابن عبد الحكم فنون كتابه « فتوح مصر » (٢) وقد عاش منتصف القرن الثالث الهجرى • ويعتبر - يعق - أول مؤرخ معتمد سجل أحداث فتح العرب مصر • وابن عبد الحكم - حين أرخ للفتح - سار على نهج المؤرخين الذين سبقوه ، فقد كان - أولا - عالما بالعديث ، ثم أرخ للفتوح وبعده بدأ المؤرخون يسجلون ومصدرهم « فتوح مصر لابن عبد الحكم » •

غير أن أوراق البردي العربية التي عرفت في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادى (٣) جاءت أصولا بمصادر لتاريخ العرب في مصر أول الفتح وقرونا هجرية بعده يقرب مدها من أربعة ، وهى أوراق البردي المصرية التى كتب عليها العرب منذ دخولهم مصر أو كلفوا عمالهم الأقباط الكتابة عليها ، حملت نموصا عربية لم تكن تحملها الأوراق من قبل • فأوراق البردي كتب عليها المصريون منذ حوالى خمسين قرنا من الزمن (٤) بلختم المصرية القديمة (٥) ثم كتب عليها اليونان بلغتهم اليونانية



د. عبد العزيز الدالي

الأستاذ بكلية اللغة العربية جامعة  
الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

# البردى العربية

وكتب الأقباط بلنتهم القبطية حتى جاء العرب فكتبوا باللغة العربية ، بل كانت الكتابات الأولى - أول الفتح - باللغات الثلاث جميعا (اليونانية والقبطية والعربية) على الورقة الواحدة في كثير من الأحيان ، الى أن عريت الدواوين في مصر سنة ٨٦ هـ (٦) ومن ذلك الوقت صارت الكتابة باللغة العربية فحسب الا الأعداد وكسورها التي لزمّت في الأعمال الحسابية فقد كتبت كما كانت تكتب في اللغة اليونانية .

هذه الأوراق البردية صنعت من سلائخ ساق نبات البردى الذي ينمو في المستنقعات والمياه الملحة ، وهو نبات أفريقي بعامة ومصرى بخاصة (٧) ، هذه السلائخ من تقطيع ساق ذلك النبات يضم بعضها الى البعض الآخر وتلصق وتجفف وتحك حتى تصقل فتصير قلعما تلصق وتسمى أدراجا وتقطع منها أوراق حسب المساحات المطلوبة ليكتب عليها ، (٨) وقد صنعها المصريون وصدروها الى الأمم الأخرى حين كانت تحتل أوراق البردى المكنانة التي يحتلها الورق اليوم (٩)

وحين أخرجت الكشوف أوراق البردى كانت عليها كتابات باللغات المصرية القديمة واليونانية والقبطية ، ونشأت حولها دراسات سميت بعلم البرديات وكان مفهوم هذا العلم يصدق على البرديات بتلك اللغات فحسب ، وحينما ظهرت البرديات العربية تغير المفهوم أو اتسع ليشمل هذا النوع الأخير منها .

وتحمل هذه البرديات العربية نصوصا على جانب كبير من الغلظ ، وهي كثيرة لم ينشر منها الا القليل ، والحديث عن النصوص العربية على أوراق البردي لا يمكن أن يتصف بالشمول ولا يدل على الاحاطة لأن المدد التقريبي لهذه الأوراق يبلغ ستة عشر ألف بردية (١٠) كانت كلها بمصر ثم خرج العدد الأكبر منها من مصر شرا أو غير شرا ، ولم يبق بمصر الا ما يقرب من ثلاثة آلاف بردية والباقي موزع بين مكتبات العالم في آسيا وأوروبا وأمريكا بجامعاته ومتاحفه ودور الكتب العامة به ، ولم يمن بنشره الا عدد قليل من العلماء والباحثين : فلم ينشر من الستة عشر ألف بردية الا ما يقرب من ثلاثة آلاف بردية ومن الثلاثة آلاف أقل من ألف من مجموعة مصر والباقي لا يزال مطويا ، ونصف عدد الأوراق تقريبا تملكه مكتبة فينا بالنمسا التي تضم ثمانية آلاف بردية عربية .

وهذه الأوراق - الا ما ندر منها - مفرقة ، والعدد الأكبر منها مقطع وممزق والكتاب الكامل العربي الوحيد - حتى الآن - المكتوب على أوراق البردي هو كتاب في الحديث النبوي الشريف لأبي محمد عبدالله بن وهب الفهرى المولود حوالي سنة ١٢٥هـ وقد عثر على الكتاب في ادفو بصعيد مصر ويشمل كتاب الأنساب وكتاب الصمت وكتاب اجناس من بنى اسرائيل من جمع عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ، وقد نشره وعلق عليه دافيد فيسل David Weill وصدر ضمن مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة وطبع بمطبعة المعهد سنة ١٩٣٩ م .

والبرديات العربية التي نشرت تعمل نصوصا تصور حياة العرب في مصر - اول الفتح - اصدق تصوير : فمنها معاملات يومية من عقود البيع أو للايجار ومعاملات اجتماعية من عقود للزواج أو للطلاق ، وما تشتمل عليه هذه العقود من توصية الزوجين بالمعاشرة بالمعروف أو التسريح باحسان ، والتزام أوامر الله سبحانه ، واتباع سنة نبيه صلوات الله عليه ، وعلاقات بين الحاكم والمحكوم من طلب لسداد الضرائب ، أو مطالب المحكومين الى الحكام وتوصية الحكام الكبار لمن هم دونهم في الحكم ، بالمحكومين : ليلتزموا معهم الرفق ويعكموا بالعدل ، وموائمة الى من الفاتحين العرب قبل الناس بالعق والقسطاس . ويفطن القارئ المعنى باللفة الى ذلك النمط الذي صاغته تلك النصوص وما ضمت من لهجات للقبائل العربية التي جاءت الى مصر من انحاء الجزيرة العربية المتفرقة (١١) تتعامل لغويا بلهجاتها الخاصة لاسيما وأن عمرو بن العاص قائد الجيش العربي الفاتح انزل العرب بمصر مجموعات متلفة ، انزلهم خطط القساط حيث عاشوا مجموعات متفاهمة ، فعافظت على لهجاتها وعاداتها وتقاليدها التي جاءت بها من الجزيرة العربية ، كما يفطن - من خلال تلك النصوص الى اختلاط اللهجات بعد مدة معينة من الفتح ، وقد اختلطت اللهجات العربية فيما بينها ، ثم باللغة القبطية ، وبرواسب اللغتين اليونانية والفارسية ، وكونت من ذلك وفي قالب الطبيعة المصرية لهجة هي اساس اللهجة القائمة في مصر اليوم ، كما يلمس تأثر لهجات العرب بهذا الاختلاط ايضا ، هذا الاختلاط الذي قوى اواصره الامتزاج والتعامل والمصاهرة بين العرب وبين المصريين

فحين انتقلت اللغة العربية الى مصر ، استطاعت أن تغزو مصر كما غزاها العرب ، وأن تستقر بها كما استقر العرب ، واضطر المصريون إلى أن يعدقوا العربية ، فلم يمتض إلا وقت يسير حتى ألف الأباء البطارقة كتبهم بالعربية مثل ابن البطريق رئيس الكنيسة وسأويرس بن المقفع صاحب سيرة الأباء البطارقة وغيرهما (١٢) وبعد الفتح العربى كانت اللغة العربية - أول الامر - في حيز محدود في مصر يتكلمها العرب ومن جاورهم من المصريين الذين اضطروا بحكم الجوار إلى أن يخلطوا بالفاتحين وأن يعرفوا لغتهم ، ثم ادخلت الاصطلاحات العربية في الدواوين فاضطر المصريون إلى أن يعرفوا لغة العرب ، كما كان لانتشار الدين الاسلامى في مصر اثر كبير في نشر اللغة العربية بين المصريين ، إذ اضطر من أسلم منهم إلى أن يتعلم اللغة العربية حتى يستطيع أن يقرأ القرآن الكريم واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى أن يفهم دروس الفقه - وكان العرب يخرجون من رباطهم في الربيع ويتصلون بالمصريين في الريف فكان ذلك من أسباب انتشار اللغة العربية بين الشعب حتى اضطر المصريون إلى أن تقل عنايتهم باللغة القبطية (١٣) ، وانتشرت اللغة العربية في مصر حتى ذبلت اللغة القبطية ذاتها وتركها المصريون واهملوا شأنها حتى في أحوالهم الخاصة ، وذاعت لغة العرب وفشت في البلاد فبدات منقوشة على النقود التي ضربت أول مرة سنة ٧٥ هـ واتخذت في الدواوين وكتابة الحكام ، وأول كتابة الدواوين باللغة العربية كان في سنة ٨٦ هـ (١٤) ، وكتب القديس شنودة مؤلفاته باللغة القبطية ثم اضطر إلى أن يكتبها مرة أخرى باللغة العربية حتى يتسنى للأقباط أن يقرءوها ، وبعد أن كانت مراسيم الكنيسة تقرأ باليونانية وتشرح بالقبطية ثم صارت بالقبطية فقط - قرءوها بالقبطية وشرحوها بالعربية وازداد الحاج الناس في ترجمة الكتب الدينية من اللغة القبطية إلى اللغة العربية (١٥) - وبعد الفتح أسرع الانعزال إلى العزلة الرومانية الاغريقية التي كانت بمصر ولم تمنح اللغة القبطية واليونانية دفعة واحدة بل قل استعمالهما تدريجاً وحلت محلها اللغة العربية والأدب العربية سائرة بغطى وثيلة، فقد روى عن خالد بن يزيد بن معاوية أنه أمر بأحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى وأن هذا أول نقل في الاسلام من لغة إلى لغة (١٦)

وتأثرت اللغة العربية بالاصطلاحات المصرية فالمصريون هم الذين يحددون الجهات بالبحرى والقبلى ولا يقولون الشمالى والجنوبى (١٧) ، وعرف كثيرون من العرب اللغة القبطية وتعاملوا بها فقد قيل أن البطريق يوسف عندما حوكم سنة ٨٥٠ م غامط رميته باللغة القبطية بحضور عدد كبير من العرب ، وفهم العرب كل ما قاله وحدثوا به القاضى (١٨) ، وروى في أخبار القاضى خير بن نعيم أنه كان يسمع كلام القبط بلغتهم ، ويخاطبهم بها وكذلك شهادة الشهود منهم ، ويحكم بشهادتهم .

كما روى في خبر خروج العلويين بالفسطاط سنة ١٤٥ هـ أن ابن حديج وقف على الباب الذى ناحية بيت المال فكلم خالد بن سميد وهو فوق ظهر المسجد كلمة قبطية (١٩)

وزاد اختلاط العرب بالمصريين وتزوج العرب من نساء مصريات ، فلم يمتز إلا زمن بعد الفتح حتى تكون في مصر شعب اسلامي عربي (٢٠) وكان نتيجة هذا الاختلاط أن نشأت لهجة للتفاهم بالعربية وكانت أساسا لل لهجة المصريين في استعمالهم اللغة العربية اليوم .

ومن ملامح هذه اللهجة تلك التي ظهرت واضحة في نصوص أوراق البردي تخفيف الهمز في لهجة المصريين وكانت هذه الظاهرة واضحة في لهجة العجازين في العصر الجاهلي ، وكسر حرف المضارعة في لهجة المصريين جاءهم من لهجة القبائل اليمنية الواقعة من الجزيرة العربية ولامح أخرى متنوعة تحتويها بعوث قائمة تدل على أن المصريين اختاروا - فيما اختاروا - من ظواهر لهجات القبائل العربية التي وفدت الى مصر ما وافق طبيعتهم وكونوا به لهجتهم التي لا تزال قائمة حتى اليوم ، أما لبناتها وأصولها فمرسومة في نصوص أوراق البردي العربية من قبل القرن الثاني الهجري .

وفضلا من بعض الملاحظ اللغوية ، فإن نصوص أوراق البردي العربية تدل على عدل العرب في حكمهم مصر ، ورفقهم بحكوميهم ، وتقوى الله فيهم في تلك المدة من الزمان - ومن أوثق الأدلة ما كتبه القائد الأمير العربي على نفسه حين دخل بجندوه وقد نفذ زادهم فطلب الأمير من عامله الوالى شياة يأكلها جنوده وكتب على نفسه عهدا بما أخذ ومما قال :

بسم الله أنا الأمير عبد الله أكتب اليكما خريسطقورس وتيود وراكبوس عاملي هيراكليوبولس

لامداد المسلمين الذين معي ، أخذت ٦٥ ( خمساوستين ) شاة فقط في هيراكليوبولس .

بلا زيادة ولا يضاخ ذلك حررت هذا الاقرار وكتبته أنا حنا العملة والشماس في ٣٠ برمودة من السنة الاولى من البريديوس الاول .  
ثم قال :

## عن أوراق

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اخذه عبد الله ابن جابر وجنوده من الشياه  
المخصصة للذبح في هيراكليوبولس اخذنا من هذه الشياه خمسين \*

من نائب تيود وراكبوس الابن الثانى للانبا كبروس ومن وكيل خريسطقورس  
اكبر اولاد الانبا كبروس ثلثم \*

خمس عشرة شاة اخرى اعطاها لتذبح لعاشيته في مراكبه وخيالته والراجلين  
المدرهين \*

تحرر في شهر جمادى الاولى من سنة الثنتين وعشرين \* كتبه ابن حديده \*  
وتتعلق كلمات هذه الوثيقة بمعدل الأمير القائد العربى واعترافه بالعق وهي  
في غنى عن التعليق في هذا المقام \*

وتعتبر هذه البردية اقدم بردية عربية حتى الآن وهي مؤرخة سنة ٢٢ هـ (٢١)  
وواحدة من مجموعة الارشيد وق رينر بالنمسا \*

هذه الاوراق البردية تصور الحياة العربية المصرية - اول عهدنا - اصدق تصوير  
لان نصوصها كتبت بالحاج امور الحياة ، واستجابة لضرورتها - ولم يقصد فيها الى  
تأليف ، وما يلزم التأليف من اختيار وتنسيق ، انما كتبها الناس وهم على طبيعتهم  
فصورت حياتهم اصدق تصوير \*

والامل معقود على ان تقرأ بقية الاوراق - وحينئذ تتضح معالم هذه المدة في تاريخ  
الامة العربية ، بل تضاء جوانبها ومداخلها وتتكشف حقيقتها باوثق الأدلة وأقوى  
البراهين \*

دكتور

عبد العزيز الدالى

البردى العربية

## المراجع

- ١ - بشار ، فتح العرب لمصر ، عربية محمد فريد ابو حديد ، ط دار الكتب بالقاهرة ١٩٣٥ م ص ١٥٦
- ٢ - ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، نشر توى ، ط لينن ١٩٢٠ م ص ٤٦
- ٣ - Grohmann. A, From the World of Arabic Papyri,  
Cairo, 1952 p. 8,10
- ٤ - نجيب ابراهيم ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ط الاسكندرية ٢٣/١
- ٥ - سليم حسن ، الأدب المصرى القديم او أدب الفراعنة ط القاهرة ١٩٤٥ م ٢٧/١
- ٦ - السيوطى ، حسن المعاصرة ط القاهرة ١٢٩٩ هـ ٢٢٦/٢
- ٧ - ١ - ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ط القاهرة ١٢٩١ هـ ٨٧/١  
Winter, J, Papyrology ( its Contributions and Problems )  
Michigan Alumnus. Quarterly Riview, Summer  
1936. vol 42 No 23 P. 234
- ٨ - Pliny, Natural History vol 4  
translated by H.Hackim, London 1952 P. 234
- Lucas .A, Ancient Egyptian Materials and  
Industries, London. 1934
- ٩ - Grohmann. A, From the world of Arabic Papyri,  
Cairo, 1952 P. 1
- ١٠ - Grohmann. A, Allgemeine Einfuehrung in die ara-  
arabisehen Papyri, Wien. 1924
- ١١ - عبد الله طوشيد البرى ، القبائل العربية بمصر والرها في الأدب في القرون الثلاثة  
الأولى للهجرة رسالة ماجستير ١٩٥٦ م
- ١٢ - محمد كامل حسين ، في الادب المصرى الاسلامى ط القاهرة ١٩٣٩ م ص ١٢
- ١٣ - المرجع نفسه ص ٣٠ ، ٣١
- ١٤ - السيوطى ، جلال الدين ، حسن المعاصرة ، ط القاهرة ١٢٩٩ هـ ٢٢٦/٢
- ١٥ - محمد كامل حسين ، في الادب المصرى الاسلامى ط القاهرة ، ١٩٣٩ م ص ٣١ - ٣٣
- ١٦ - ابن التديم ، الفهرست ، نشر فلوجل ط لبيجز ١٨٧١ م ص ٢٤٢
- ١٧ - المقرئى ، الواصف والاعتبار بذكر اللفظ والالار ط القاهرة ١٢٧٠ هـ ٢٣/١
- ١٨ - Quatremère, Recherche sur la Langue et la  
Littérature de L'Egypte, Paris 1808 p. 34
- ١٩ - الكندى ، الولا والقضاة ، نشر جست ط بيروت ١٩٠٨ م ص ١١٢
- ٢٠ - Lane Poole, History of Egypt in the Middle  
Ages, London 1925 P. 15
- ٢١ - Grohmann. A. Apercu de papyrologie arabe, études  
de papyrologie, Société Royale  
Egyptienne de Papyrologie. Tome 1 1e  
Caire 1932 P. 28.